صلى الله عليه وسلم في ان الله بسوال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله
تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليه عليه الصلاة والسلام من التوحيد
والشريعة ومن هذا النمط قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اذ الخطاب مواجهة له صلى الله عليه
وسلم والمراد به المشركون كما قاله القتبي وقيل اصل التركيب اللفظي واسال
عمن ارسلنا من قبلك فحذف المفعول والخافض وتم الكلام عند رسلنا ثم
ابتدا انتقالا على طريق الاستفهام الانكاري اجعلنا من دون الرحمن الهة
يعبدون اي ما جعلنا ذلك وقيل المراد اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت
به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب
وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى والمعنى اسال الرسل اذا
لقيتهم يعني ليلة الاسرا او امهم علماهم بغير التوحيد فكان عليه الصلاة
والسلام ايقن من ان يسال كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا اسال قد اكتفيت فان قلت فما معنى قوله تعالى حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراة التخفيف والبنا للمفعول قلت
لم يظنوا ذلك بربهم وانما ظنوه بمن وعدهم النصرة من اتباعهم وحاشاهم
كما قالت عايشة ان يظنوه بربهم وتبعها اكثر المفسرين على ان ضمير
ظنوا اجمله ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلما عايدا على
الاتباع والامم لا على الانبيا والرسل وعليه تتخرج قراة التخفيف والبنا
للفاعل فان قلت فما تفعل بقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة
في حديث مبتدا الوحي لقد خشيت على نفسي قلت قال العلما ليس
معناه الشك فيما اتاه الله بعد النبوة ورؤية الملك مما اوحاه اليه
وانزله بعظيم فضله ولعله انما خشي ان لا يحتمل قوته البشرية مقاومة
الملك واعبا الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في
الصحيح من انه قال بعد لقايه الملك واصطفايه بالنبوة واما ما لم
يصح فيه تعيين وقت وروده فيمكن حمله على اول احواله صلى الله
عليه وسلم من بدو الارهاصات وطروا التباشير حين عرضت له العجايب
من تسليم الشجر واظلال الغمام تانيسا له عليه الصلاة والسلام وتنويها
على مخالطتها ليلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله من
حيث بنيته البشرية وهذا محمل قوله لها ايضا كما في رواية حماد بن سلمة
اني لاسمع صوتا وارى ضوا واخشى ان يكون بي جنون وقوله في بعض الاحاديث
ان الابعد شاعر او مجنون او الفاظ مشابهة الشك لو صح شي من ذلك
لكنه لم يصح طريق شي منها واما بعد اعلام الله له بما اصطفاه والنبوة
ولقايه الملك فلا يصح عليه صلى الله عليه وسلم ريب ولا يجوز عليه شك

فيما

فيما القي اليه فان قلت فما محمل قول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق
الجبال قلت هو لا يقدح في هذا الاصل لانه لم يسنده ولا ذكر راويه
ولمن حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ومثل هذا لا يتلقى
من غيره صلى الله عليه وسلم مع امكان حمله ان صح على انه لما اخرجه من تكذيب
من بلغه على حد فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
وهذا محمل حزنه وتزمله باثوابه وتدثره بها لما اجتمع راي المشركين في دار
الندوة بعد التشنا وريبة شانه صلى الله عليه وسلم على ان يقولوا انه ساحر
كما يمكن حمله ايضا على انه هم بفعله ذلك بنفسه لخوفه ان الفترة لامر
او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك لها ولم يرد بعد
شرع بالنهي عن قتل الشخص نفسه حتى يعترض به على هذا المحمل فان
قلت فما محمل قوله تعالى في شان يونس وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فظن ان لن نقدر عليه قلت الصحيح ان مغاضبته انما هي لقومه
لكفرهم كما قاله ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله
معاداة له ومعاداة الله كفر لا تليق باحاد المؤمنين فكيف بالانبيا
وقيل ان مغاضبا معناه مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب حين وعدهم
العذاب وجا اوانه ولم ياتهم وقيل خايفا من قومه ان يقتلوه كما ورد في الخبر
وقيل لبعض الملوك فيما امر به من التوجه الى امر امره الله به على لسان
نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك
مغاضبا له واما قوله في خفة فظن ان لن نقدر عليه فمعناه ان لن نضيق
عليه والمعنى انه عليه الصلاة والسلام طمع في رحمة الله وان لا يضيق
عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه ان لا يقضي عليه بالعقوبة
ومعناه ان لن نقدر عليه ما اصابه من التقدير لانه القدر كما قرئ
نقدر بالتشديد وقيل معناه نواخذه بغضبه وذهابه وقال ابن دريد
معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان
يجهل صفة من صفات ربه على انه روي عن ابن عباس ان ارسال يونس
ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله تعالى
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى
مائة الف الاية وقد يستدل ايضا بقوله تعالى فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين بعد قوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو
مكظوم الاية فتكون هذه القصة اذا قبل النبوة فان قلت
فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم
مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة قلت الغين هنا

Copyright © King Saud University